هذا . . هو عدونا

إن مشكلة إسرائيل أنها وليدة الصهيونية ، وأنها مصابة بآفات أو عاهات أساسية ملازمة لها ، وهى جزء من كيانها ، وليست أعراضًا طارئة عليها ، وهى التى تقف حائلا وحاجزًا بيننا وبينهم .

وإذا كان التعرف على عدونا المغتصب لأرضنا ، المهدد لوجودنا واجبًا دينيًّا وقوميًّا ، فلا يتم لنا ذلك إلا إذا حاولنا التعرف على هذه الآفات الخطيرة ، المنبثقة عن العقلية والنفسية الصهيونية ، التى كونتها تعاليم التلمود الخطرة ، مضافًا إليها تطلعات الصهيونية الأشد خطرًا .

١- العنصرية :

أولى هذه الآفات هى : العنصرية ، وهذه آفة فى بنية الفكر الدينى اليهودى الذى أنشأته أسفار التوراة وملحقاتها ، وغذته ونمته تعاليم التلمود ، الذى يقدسه اليهود أكثر من تقديسهم للتوراة ، فاليهود ديانة شعب ، والتوراة كتاب شعب ، بل الله سبحانه رب شعب ، هذا الشعب هو شعب إسرائيل .

نرى القرآن يعلن فى صراحة ويقين : إن الله هو ﴿ رَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾، و ﴿ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ ، و ﴿ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ، لم يقل : إنه رب العرب ، أو رب المسلمين ، فى حين تقول التوراة فى تأكيد عن الله : إنه « رب إسرائيل » ! .

بل إن التوراة من أولها إلى آخرها لا تهتم إلا ببنى إسرائيل ، وتاريخ بنى إسرائيل ، وأحلام بنى إسرائيل ، فلا ذكر فيها للآخرة

ولا للجنة أو النار ، إنما العناية فيها بملك إسرائيل ، ومجد إسرائيل .

إن التوراة تقول عن هذا الشعب : إنه «الشعب المختار» ، ونحن نقول هذا عنه أيام كان يحمل رسالة التوحيد ، ويحارب الوثنية ، وينفذ تعاليم الأنبياء ، حتى إذا غير ما بنفسه غير الله ما به ، فقد انحرف فى عقيدته ، وانحرف في سلوكه ، ووقف فى وجه الأنبياء والرسل ، كما قال القرآن : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة:٨٧)، ولهذا قال يوحنا المعمدان ، وقال المسيح عليهما السلام لهم : يا أولاد قتلة الأنبياء ! .

والقرآن الذى أعلن أن الله فضل بنى إسرائيل على العالمين ، أى عالمى زمانهم ، هو نفسه الذى قال : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة:٧٨،٧٩) ، ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (آل عمران:١١٢).

وقد توهم بعض الناس أن تسمية إسرائيل «الشعب المختار» أشبه بتسمية الأمة الإسلامية : ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١١٠) ، وهذا خطأ يقينًا ، فالأمة الإسلامية ليست أمة عنصرية ، بل هى أمة رسالة وأهداف ومبادئ من آمن بها واعتنقها، فهو من هذه الأمة ، من أى عرق أو أى لون أو أى وطن كان .

لقد استدر اليهود عطف العالم عليهم باعتبارهم جنسا مضطهدًا مشردًا ، شهروا سيف الاتهام الذى استغلوه استغلالاً بشعًا ، وهو « معاداة السامية » .

والحقيقة أن معظم يهود اليوم ليسوا ساميين ، وليسوا من نسل إسرائيل ، بل هم كما أثبت كثير من الباحثين المنصفين من الغربيين الذين قالوا : إن يهود اليوم ليسوا يهودا ، أى ليسوا ساميين ولا إسرائيليين ، بل إن نسبة كبيرة من اليهود هم من سلالة يهود مملكة الخزر ، التى نشأت فى شرق أوروبا ، حين اعتنق بعض قبائل التتار الدين اليهودى ، وبعد سقوط مملكة الخزر انتشر عدد منهم فى منطقة القرم ، وغدت بولندا مهجرهم الرئيسى ، حيث قدر عددهم فيها عام (١٦٥٠م) بحوالى نصف المليون ، وكانوا يتمتعون فيها بقسط وافر من الحكم الذاتى ، حتى أعملت فيهم جيوش شمبيلتكى الأوكرانى المذابح ، ودمروا جاليتهم فى سنة (١٦٥٨م) [1].

إن اليهود طالما شكوا إلى العالم والقوى المؤثرة فيه من معاداة السامية ، وهم الآن يعادون (السامية الحقيقية) المتمثلة فى شعب

---

(١) انظر: التطرف الإسرائيلى جذوره وحصاده ص ٢٨ للسفير طاهر شاش ، وانظر كتاب (يهود اليوم ليسوا يهودًا) ترجمة زهدى الفاتح .

فلسطين العربى السامى ، الذى أخرج من دياره ، وشرد فى الآفاق بغير حق .

وإن اليهود الذين شكوا من (العنصرية النازية) المتعالية ، يجسدون اليوم (عنصرية نازية جديدة) متعصبة لا ترى إلا نفسها ، ولا تعترف بحق لغيرها ، وخصوصًا إذا عارض اتجاهاتها .

٢- العنف والعدوانية :

وإذا كانت (العنصرية) هى الآفة الأولى فى إسرائيل ، والكامنة فى البنية الأساسية لفكرها واعتقادها الدينى ، فإن الآفة الثانية هى (العنف) أو الطبيعة العدوانية ، التى تتميز بالقسوة والغلظة والعناد ، حتى سمتهم التوراة كتابهم نفسه (الشعب الصلب الرقبة).

وعبر عن ذلك القرآن فخاطبهم بقوله : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(البقرة:٧٤).

وفى موضع آخر بين القرآن أن هذه القسوة كانت عقوبة من الله لهم على نقضهم لما عهد به إليهم من مواثيق ، فقال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ (المائدة:١٣) والمصادر الدينية لإسرائيل من شأنها أن تصنع هذه الطبيعة العدوانية ، التى لا تبالى فى سبيل تحقيق أهدافها بما تسفك من دماء ، وما تنتهك من حرمات ، وما تخرب من ديار ، وما تهدر من أموال ، واعتبار الناس كأنما هم أدوات لخدمة إسرائيل .

وهذا التوجه واضح فى أسفار التوراة الخمسة ، وفى أسفار الأنبياء الملحقة بهذه الأسفار ، وبخاصة سفر أشعيا ، الذى أعجب به الإسرائيليون ، وسموه (النبى المحارب).

وهو أشد وضوحًا فى (التلمود) الذى يرجع إليه اليهود أكثر مما يرجعون إلى التوراة ذاتها ، وربما يقدسونه أكثر من تقديس التوراة .

يعبر عن ذلك مناحم بيجين الذى كان أحد أركان العصابات الصهيونية الإجرامية قبل قيام إسرائيل ، ورئيسا لائتلاف الليكود بعد قيام إسرائيل ، بكلمته المعبرة فى كتابه (التمرد) : أنا أحارب إذن أنا موجود ! .

ومن استقرأ تاريخ إسرائيل حديثا ، مع شعب فلسطين خاصة ، ومع العرب عامة ، يجد هذه الطبيعة ظاهرة غير خافية ، ترجمت عنها : المجازر البشرية التى أجبرت بها الشعب الفلسطينى على الخروج من دياره ، وتشريده فى آفاق الأرض ، وما تقوم به إلى اليوم من أعمال عدوانية تقوم بها الحكومة ، ويقوم بها المستوطنون ، وما تضمه من أراض فلسطينية ـ بغيا وعدوًا ـ إلى دولتها ، وما تضمه من مستوطنات فى القدس وفى الضفة وفى غزة ، وما أشعلوه من مذابح فى صبرا وشاتيلا [1]، وفى مسجد

---

(١) قال بعض الدارسين : إن صبرا وشاتيلا أعظم مجازر القرن العشرين ، فقد استمر التقتيل والتذبيح فيها (أربعين ساعة) متوالية ، وقتل فيها نحو ثلاثة آلاف شخص ، وخصوصا من الشيوخ والنساء والولدان .

(الخليل) فى فجر رمضان للصائمين الركع السجود ، وفى (قانا) بلبنان ، وفى قتلى النفق فى (القدس) ، وما كشفت عنه الوقائع قبل ذلك من القتل الجماعى للأسرى المصريين وقتل تلامذة بحر البقر فى مصر . وفيما يحدث كل يوم من اعتقال وتعذيب ، وعقاب جماعى ، وعقاب أسرة الفدائى وهدم بيت أهله ، ثم فى محاولة الدولة ـ بأمر رئيس وزرائها السابق والحالى ـ قتل الأفراد واغتيالهم وتصفيتهم ، كما فعل رابين فى قتل فتحى الشقاقى ، ويحيى عياش ، وكما فعل نتنياهو فى محاولة قتل خالد مشعل رئيس المكتب السياسى لحماس ، وفضيحته هو وجهازه الموساد على رؤوس الأشهاد . كل ذلك بمنطق القوة لا بقوة المنطق ، فالمنطق الفذ الذى تفهمه إسرائيل هو منطق العنف والإرهاب .

وإنا لنعجب من الشعب الذى طالما شكا من الاضطهاد والعدوان من النازية وغيرها ، كيف يضطهد شعبًا بأكمله ، ويعتدى على أرضه وسيادته وحرماته ، ولا ذنب له إلا تمسكه بوطنه ، ودفاعه عن ملكه ؟!.

٣- التوسعية :

وثالث الآفات الكامنة فى طبيعة إسرائيل ، هى : الأحلام أو الأطماع التوسعية .

إنها لا تكتفى بما اغتصبت من أرض ، وما نهبت من أملاك الغير ، بل هى لا تشبع من غصب ، ولا تسأم من نهب ، إنها كجهنم ، يقال لها : هل امتلأت ، وتقول هل من مزيد؟ .

إنها لا تزال تحلم بإسرائيل الكبرى : من الفرات إلى النيل .

بل هناك من يقولون : ملكك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل ، ومن الأرز إلى النخيل .

من نهر الفرات فى العراق إلى نهر النيل فى مصر .

ومن شجر الأرز فى لبنان إلى شجر النخيل فى المملكة العربية فى المدينة وخيبر ، حيث كان يعيش أجدادهم هناك .

وهذا ما قاله رجل منهم بصراحة ، هو إسرائيل شاحاك الأستاذ بجامعة تل أبيب ، الذى كشف النقاب عما يخبئه الإسرائيليون فى ضمائرهم ، وسجله فى كتاب نشر بالإنجليزية ، يبين فيه أن إسرائيل التى يحلم بها قومه تمتد إلى أجزاء من سوريا ، ولبنان ، وتركيا ، والعراق ، والسعودية ، واليمن ، والكويت ، ومصر إلى الإسكندرية !.

بل هم فى الواقع يريدون السيطرة على العالم ، ولكن سياستهم المعهودة هى الوصول إلى الهدف البعيد خطوة خطوة .

قد يقول البعض : إن هذا حلم بعيد المنال ، ولا يتصور من إسرائيل أن تركض وراء وهم وسراب ، لا يمكن تحقيقه فى أرض الواقع ، وهى الآن أعقل من أن تتحدث عن هذه الأحلام .

ونقول : إن قيام إسرائيل نفسها كان حلما ، أو خيالا ، منذ مائة عام ، ثم غدا حقيقة واقعة ، وقد لا تتحدث إسرائيل عن ذلك اليوم ، لما يجلبه ذلك عليها من مشكلات ، فهى تصمت عن ذلك لفترة ما ، وفقا لسياسة المراحل .

وكم رفضنا من أشياء ، لأنها دون ما نؤمن به من حقوق لنا ، مثل قرار التقسيم ، ثم بعد ذلك تمنينا لو قبلنا ما كنا رفضنا .

إن إسرائيل تسعى أبدا لتحقيق أهدافها وأحلامها ، التى كنا نعتقدها فى وقت ما ضربًا من المحال ، ولكنها تحققت ، أما أحلامنا نحن ، فهى دبر آذانها ، وتحت أقدامها .

ولا ينبغى أن ننسى أن هناك قوى كبرى ساعدت ـ ولا زالت تساعد ـ إسرائيل على تحقيق ما تريد ، ابتداء من بريطانيا العظمى التى وعدت بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين على لسان وزير خارجيتها (بلفور) فى وعده المشهور فى (١٩١٧/١١/٢م) ، والذى قيل فيه : من لا يملك ، وعد من لا يستحق .

وانتهاء بالولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى والقطب الأوحد فى عالم اليوم ، والتى تقف وراء إسرائيل بالمال والسلاح و(الفيتو)! ولولا المال الأمريكى ، والسلاح الأمريكى ، والفيتو الأمريكى ، ما وصلت إسرائيل إلى ما وصلت إليه اليوم .

ومروراً بالاتحاد السوفييتى الذى قال فى إبان قوته : إن إسرائيل خلقت لتبقى ! .

٤- اللا أخلاقية :

وتعتمد إسرائيل مبدأ (اللا أخلاقية) فى تعاملها مع العرب والفلسطينيين ، ففلسفتها قائمة على أن الأخلاق تتغير ، فلا ثبات لها وأنها تتجزأ ، فلا عموم لها ، فلا غرو أن تتعامل بمعيار مزدوج ، معيار مع النفس ، ومعيار مع الأغيار ، وهذا للأسف

ما قررته توراتهم ، وسفر التثنية فيها : إن للإسرائيلى أن يقرض بربا مع غير الإسرائيلى ، وليس له ذلك مع الإسرائيلى ، على خلاف ما قرره الإسلام : أن الحلال حلال للجميع ، وأن الحرام حرام على الجميع ، ولقد سجل القرآن على هؤلاء استباحتهم لمن عداهم ، وعدم تأثمهم فى ذلك دينا ، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٥).

وإسرائيل تقرر كذلك المبدأ الجاهلى : (يحلونه عاما ويحرمونه عامًا) ، والتحليل والتحريم وفق هواها ومنافعها الخاصة ، كما تتبنى الفلسفة الميكافيلية : الغاية تبرر الوسيلة ، فكل الوسائل عندها مباحة ومشروعة فى سبيل تحقيق غايات إسرائيل ، بغض النظر عن احتجاجات المحتجين ، واستنكارات المستنكرين .

والعرب والمسلمون قوم أخلاقيون ، فقد علمهم دينهم ضرورة الالتزام بالعنصر الأخلاقى فى كل جوانب الحياة ومعاملاتها ، فالعلم لا ينفصل عن الأخلاق ، والتشريع لا ينفصل عن الأخلاق ، والاقتصاد لا ينفصل عن الأخلاق ، والحرب لا تنفصل عن الأخلاق ، والسياسة لا تنفصل عن الأخلاق .

ولا يقبل الإسلام بحال مبدأ : الغاية تبرر الوسيلة ، بل يوجب شرف الغاية ، وطهر الوسيلة ، ولا بد من الوسيلة النظيفة لتحقيق

الغاية الشريفة ، ولا يرضى الإسلام الوصول إلى الحق بطريق الباطل ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا .

ولا غرابة أن نرى إسرائيل تحترم العهود والمواثيق إذا كانت فى صالحها ، وتضرب بها عرض الحائط إذا خالفت مصالحها ، وها هو بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل يسأل عن « اتفاقات أوسلو » وما بعدها ـ والتى نرفضها نحن أساسا ـ فيقول بصراحة : أنها قد ماتت !

وهكذا تحقق فى هؤلاء ما قاله القرآن فى أسلافهم : ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ (الأنفال:٥٦).

وهم يطبقون ما قاله بعض الساسة الأوربيين من قبل : إن المعاهدات ليست إلا حجة القوى على الضعيف !

إن (الأخلاق) المشروعة فى إسرائيل هى أخلاق العنف والإرهاب والاستحلال ، هذا ما تقوم به الدولة ، التى لا يزال تسيطر عليها روح رجال العصابات ، وما يقوم به المستوطنون ، الذين يسندون ظهورهم إلى قوة الدولة وحمايتها . والحق أن إسرائيل التى تصف الفلسطينيين الذين يدافعون عن وطنهم وأهليهم وحرماتهم بأنهم (إرهابيون) هى فى الواقع (الإرهابى الأكبر) فى العالم ؛ لأنها تأخذ حق غيرها ، وأرض غيرها ، بالقوة والسلاح والعنف ، فهو إرهاب معتد ظالم باغ فى الأرض بغير

الحق ، وقد بين ذلك كتاب «الإرهاب يؤسس دولة : نموذج إسرائيل» [1].

وهناك مواقف وأمثلة لا تحصى تدل على (الاتجاه اللاأخلاقى) عند إسرائيل ، لعل أحدثها وآخرها ما قامت به نحو رئيس المكتب السياسى لحماس فى الأردن الأخ المجاهد خالد مشعل ، والذى حاولت اغتياله عن طريق جهاز علمى متطور ، يسلط على دماغه مادة كيماوية قاتلة ، مستخدمة فى ذلك جوازات سفر كندية مزورة ، احتجت كندا عليها ، كما لم تبال أن تقوم بذلك على أرض الأردن الذى عقدت معه معاهدة سلام ، ولولا رعاية الله وحمايته ، ثم تنبه الأخ خالد ، ويقظة مرافقه ، لذهب ضحية الغدر ، دون أن يدرى أحد أنه قد اغتيل عمدًا . هذا هو الإرهاب الذى تمارسه إسرائيل من قديم ، ولا زالت .

وها هو اليوم آريل شارون ـ وزير البنى التحتية فى إسرائيل ـ يعلن فى جرأة ووقاحة عارية : أن محاولة قتل خالد مشعل ، إذا كانت قد فشلت فى المرة السابقة ، فإنها ستتكرر وتتكرر ، حتى تتحقق . هكذا قال الإرهابى العريق ، ولم يبال بأحد . وإذا لم تستح فاصنع ما شئت ! .

أما الفلسطينيون فإرهابهم ـ إن صحت تسميته بذلك ـ إرهاب مشروع ، مستجيب لقول القرآن : ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن**

---

(١) تأليف د . هيثم الكيلانى .

﴿قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)، فهو إرهاب للدفاع والمقاومة لا لاستباحة الحرمات!

واللا أخلاقية عند اليهود ليست شيئًا عارضًا فى سلوكهم ، بل هى أصيلة عميقة الجذور ، ضاربة فى أغوار تاريخهم من قديم ، حتى عند أنبيائهم كما تحكى كتبهم المقدسة نفسها .

فقد جاء فى العهد القديم على لسان كتبته : أن يعقوب وأمه خدعَا إسحاق حتى يحصلا على بركته ليعقوب بدلا عن عيسى أخيه الأكبر . . . وأن راحيل زوجة يعقوب سرقت من أبيها لأبان ـ خال يعقوب ـ أصنامه حين رحيلهما عنه .

وجاء قبل ذلك ـ فى سفر التكوين أيضًا ـ أن ابنتى لوط عاشرتاه بعد أن أسكرتاه . وأنجبتا منه المؤبيين والعمونيين . . فهم أولاد زنى .

وجاء فى سفر يشوع عن سقوط أريحا على يد بنى إسرائيل : دمروا المدينة . . وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ . . حتى البقر والغنم والحمير .

ثم جاء فى سفر صموئيل الأول : أنا الذى أرسلنى الرب لأنصبك ملكا على إسرائيل . . فاذهب الآن ، وهاجم عماليق . . ولا تبق على أحد منهم . . بل اقتلهم جميعًا . . رجالاً ونساء وأطفالا ورضعًا . . بقرًا وغنمًا وجمالاً وحميرًا .

ثم جاء فى نفس السفر : أن الملك شاول طلب من داود مهرًا لابنته مائة غلفة من غلف الفلسطينيين . . . فراق داود الأمر . .

وقتل مائتى رجل من الفلسطينيين . . وأتى بغلفهم كاملة . . مهرًا لمصاهرة الملك .

وفى نفس السفر أيضًا : انقلب داود على الملك شاول ، وانضم إلى الفلسطينيين فى حربهم ضد الملك الإسرائيلى . . ولكن رفض الفلسطينيون انضمام داود لجيشهم . . فتوسل داود لملكهم أخيش قائلا : ماذا جنيت؟ وأى علة وجدت فى عبدك حتى لا أشترك فى محاربة أعداء الملك؟.

وفى سفر صموئيل الثانى : اغتصب أمنون أخته ثامار ـ وهما ابنا داود ـ ثم عاشر أبشالوم بن داود محظيات أبيه ، وحارب أبشالوم أباه داود طمعًا فى الملك ، وقتل الابن فى القتال .

وفى سفر الملوك . . جاء عن سليمان أنه عبد عشتاروت إلهة الصيدونيين . . وملكوم إله العمونيين . . وأقام مرتفعات ذبائح لجميع آلهة نسائه الغربيات [1]! .

هذا ما قالته أسفارهم المقدسة ، ولم نقله نحن !

ولا غرو قال المسيح عليه السلام : لكم الويل أيها الكتبة المراؤون ، أيها الحيات أولاد الأفاعى ، أبناء قتلة الأنبياء ، كيف تفلتون من عقاب جهنم؟!..

٥- الشح وعبادة المال :

ومن الآفات الخلقية الملازمة للطبيعة الإسرائيلية : عبادة المال ، والشح به ، والحرص عليه ، وقديمًا عبدوا العجل الذهبى ، وهو

---

(١) من مقدمة كتاب (تاريخ اليهود) لأحمد عثمان، نشر مكتبة الشروق .

يشير إلى مدى تعلقهم بالذهب وبريقه . وقد وصفهم القرآن بالبخل وسجله عليهم فى قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (النساء:٥٣).

يقول العلامة رشيد رضا رحمه الله فى تفسير هذه الآية فى المنار :

﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ قالوا إن ﴿ أَمْ ﴾ هنا منقطعة ، وهى عند جمهور البصريين للإضراب والاستفهام ، والمراد بالإضراب هنا : الانتقال من توبيخهم على الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل المشركين على المؤمنين ، إلى توبيخهم على البخل والشح والأثرة . واختار الأستاذ الإمام أن ﴿ أَمْ ﴾ إذا وقعت فى أول الكلام تكون للاستفهام المجرد ، والاستفهام هنا للإنكار ، والتوبيخ يستفاد من قرينة المقام ، أى ليس لهم نصيب من الملك كما لهم نصيب من الكتاب ، بل فقدوا الملك كله بظلمهم وطغياتهم ﴿ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ أى ولو كان لهم نصيب من الملك لسلكوا فيه طريق البخل والأثرة بحصر منافعه ومرافقه فى أنفسهم ، فلا يعطون الناس نقيراً منه إذ ذاك . والنقير هو النقرة أو النكتة فى ظهر نواة التمر ، وهى الثقبة التى تنبت منها النخلة ، شبهت بما نقر بمنقار الطائر أو منقار الحديد الذى تحفر به الأرض الصلبة والنقير كالفتيل فى الآية السابقة : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (النساء:٤٩)، يضرب به المثل فى الشىء القليل والحقير والتافه . وكذلك يضرب المثل بالقطمير ، وهى القشرة الدقيقة التى على النواة بينها وبين التمرة .

وحاصل المعنى : أن هؤلاء اليهود أصحاب أثرة شديدة ، وشح مطاع ، يشق عليهم أن ينتفع منهم أحد غير أنفسهم ، فإذا صار لهم ملك حرصوا على منع الناس أدنى النفع وأحقره ، فكيف لا يشق عليهم أن يظهر نبى من العرب ، ويكون لأصحابه ملك يخضع لهم فيه بنو إسرائيل . هذه الصفة لا تزال غالبة على اليهود ظاهرة فيهم فإن تم لهم ما يسعون إليه من إعادة ملكهم إلى بيت المقدس وما حوله ، فإنهم يطردون المسلمين والنصارى من تلك الأرض المقدسة ، ولا يعطونهم منها نقيراً من نواة ، أو موضع زرع نخلة ، أو نقرة فى أرض أو جبل ، وهم يحاولون الآن ـ وحاولوا قبل الآن ـ ذلك بقطع أسباب الرزق عن غيرهم . فالنجار اليهودى فى بيت المقدس يعمل لك العمل بأجرة أقل من الأجرة التى يرضى بها المسلم أو النصرانى ، وإن كانت أقل من أجرة المثل ، ولعل جمعياتهم السياسية والخيرية تساعدهم على ذلك ، فالدلائل متوفرة على أن القوم يحاولون امتلاك الأرض المقدسة ، وحرمان غيرهم من جميع أسباب الرزق فيها ، يفعلون هذا وليس لهم نصيب من الملك « هذا وما كيف لو » .

وهل يعود إليهم الملك كما يبغون ؟ الآية لا تثبت ذلك ولا تنفيه ، وإنما تبين ما تقتضيه طباعهم فيه لو حصل ، وسيأتى البحث فى ذلك فى تفسير سورة الإسراء التى تسمى أيضًا (سورة بنى إسرائيل) ويدخل فى ذلك ما تقتضيه من الكثرة وهم

متفرقون ومتعلقون بأموالهم فى كل المماليك ، ومن الاستعداد للحرب والزراعة ، وقد ضعف ذلك فى أكثرهم ، ولكنهم يعتقدون اعتقاداً دينيا أنهم سيقيمون الملك أو سوف يقيمونه فى البلاد المقدسة ، وقد ادخروا لذلك مالا كثيراً ، فيجب على العثمانيين أن لا يمكنوا لهم فى فلسطين ، ولا يسهلوا لهم طرق امتلاك أرضها ، وكثرة المهاجرة إليها ، فإن فى ذلك خطراً كبيراً كما نبهنا فى تفسير الآية السابقة من عهد قريب[1] اهـ . كتب هذا الشيخ رشيد رضا فى تفسيره الذى كان يصدر به (مجلة المنار) وكان ذلك فى ج١١ ـ المجلد الثالث عشر ـ الجمعة ٣٠ذو القعدة ١٣٢٨هـ - ٢ ديسمبر ١٩١٠م . أى منذ ما يقرب من ٩٠ عاما .

الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار :

هذه الآفات النفسية ، والعاهات الخلقية ، والأمراض السلوكية ، التى تجسمت فى الشخصية اليهودية التلمودية ـ ولا سيما بعد ظهور الحركة الصهيونية وتوجهاتها الخطيرة ـ أفرزت العصابات الإرهابية اليهودية فى عهد الانتداب البريطانى ، وقبل قيام إسرائيل فى ١٩٤٨/٥/١٥م وأفرزت المجازر البشرية ، والهجمات العدوانية ، والأساليب الشيطانية ، التى قامت عليها سياسة إسرائيل فى سلمها وحربها مع الفلسطينيين ومع العرب والمسلمين .

---

(١) تفسير المنار ج٥/١٥٩، ١٦٠ .

أفرزت هذه الآفات شر أنواع الاستعمار فى التاريخ ، وهو الاستعمار الصهيونى ، الذى قال فيه من قال : الصهيونية هى أعلى مراحل الاستعمار .

وذلك لما تميز به الاستعمار الصهيونى اللعين عن أنواع الاستعمار الأخرى ، التى عرفها العالم قديما وحديثا ، والتى أشار القرآن إلى آثاره على لسان ملكة سبأ حين قال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل:٣٤) ، أشارت إلى دخول الملوك فاتحين مستعمرين ، فهم يفسدون البلاد ، ويذلون العباد .

وفى العصور الحديثة عرف الناس الاستعمار البريطانى والفرنسى والإيطالى والهولندى وغيرها ، وكلها شر على من استعمروهم .

ولكن الاستعمار الصهيونى أشد وأنكى ، فهو ، كما يقول أخونا . الدكتور حسان حتحوت [1]: استعمار إحلالى توسعى عنصرى إرهابى ظالم .

١- استعمار إحلالى :

أى هو استعمار استيطانى ، يريد تفريغ البلاد من أهلها ليحل هو محلهم ما استطاع . ويزعجه أن يرى معدل المواليد العرب

---

(١) انظر: فصل (فلسطين) فى كتابه القيم (بهذا ألقى الله: رسالة إلى العقل العربى المسلم) ص ١٩٥، ١٩٦.

أعلى منه لدى اليهود بما فى ذلك من تهويد ديموجرافى . . وليس مثل الصليبيين يملك وطنا آخر يستطيع أن يعود إليه فلا نية لديه إلا البقاء . وهو لا يحاول التخلص من العرب بالتهجير أو الاضطرار إليه أو هدم البيوت أو تغيير الجغرافيا فقط ، بل بجلب مزيد من اليهود من أنحاء العالم ليحلوا محل العمالة الفلسطينية ، وهى الخط الحيوى الباقى للفلسطينيين . وقد صرح بهذا ساستهم ومفكروهم ، مثل البروفسور « بن زيون دينور » الذى أعلن أن ليس فى بلادنا متسع لشعبين .

ومثل « يورى لبرانى » (مستشار بيجين للشؤون العربية) الذى قال : سنختزل الجالية العربية إلى طائفة من الحطابين وجرسونات المطاعم! ومثل « شيب الداود » الذى قال : إما « إسرائيل الكبرى » وإما « إسماعيل الكبرى ». (يعنى بإسماعيل الكبرى : الدولة العربية التى تجمع العرب تحت راية واحدة ، وهذا يعنى : انتهاء إسرائيل) .

٢- استعمار توسعى :

وهو ثانيا استعمار توسعى . ما زالت خريطة من النيل إلى الفرات فى الكنيسيت . والخطان الأزرقان فى أعلى وأسفل العلم اليهودى يرمزان للنيل والفرات وسئلت « جوولدا مائير » عن حدود دولة إسرائيل كما تراها فقالت : عندما نصل إلى الحدود سنخبركم . وصرح « بن جوريون » بأن الدولة اليهودية تطمح أن تشمل حدودها جنوب لبنان وجنوب سوريا والأردن وشبه جزيرة

سيناء . (ولهذا لم يضم اتفاق «أوسلو» شيئًا عن «الحدود» وستظل سرًا عند قادة إسرائيل ، لا يفصحون عنه ، إلا عندما تتحقق الأحلام) .

٣- استعمار عنصرى :

وهو استعمار عنصرى . وفى تصريح سابق «لرفائيل ايتان» الذى كان رئيس الأركان قال : إن من يتهم البيض فى جنوب إفريقيا بالعنصرية كذاب . . السود هناك هم الذين يريدون التحكم فى الأقلية البيضاء ، تماما مثلما يريد العرب أن يتحكموا فينا . وعندما صوتت الدول الإفريقية بجانب قرار الأمم المتحدة باعتبار الصهيونية عنصرية فى عام ١٩٧٥ (القرار الذى تم لحسه فيما بعد) ، كان تعليق «بيجين» : كيف تحسب الشعوب التى كانت إلى عهد قريب تعيش فوق الأشجار أنها أصبحت تقود العالم؟.

بل إن العنصرية قائمة فى اليهود بين بعضهم والبعض . «الأشكينازى» وهو اليهود الأوربى الأبيض يرى نفسه أرقى من (السيفارديم). وبينما يشكل السيفارديم سبعين بالمائة من اليهود ، فقد رسم نظام للتعليم والمصروفات الدراسية بحيث لم يسمح لهم بأكثر من ستة بالمائة فى الجامعات وثلاث بالمائة عند التخرج .

أما اليهود الأحباش الذين طنطنوا بهم فحثالة المجتمع ، لدرجة أنه عند التبرع بالدم تنتقى زجاجات دم اليهود الأحباش فتراق ، ويرمى بالدم حتى لا يستعمل ، وعندما اكتشفت هذه الفضيحة أحدث مرارة كبيرة لدى الأحباش ، وإحساسا بالاضطهاد والتفرقة

العنصرية «تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى» بل إن اليهود الأرثوذكس أصدروا من قريب فتوى بأن المحافظين واليهود الإصلاحيين ليسوا يهودًا .

٤- استعمار ظالم :

وأما استعمار ظالم ، فبديهية لا تحتاج إلى تدليل . لكن نحب أن يشهد شاهد من أهلها . فالأستاذ «جودا ماجنس» أول رئيس للجامعة العبرية يقول : إن لليهود أكثر من حق فى مطالبة العالم بالعدالة ، ولكننى على غير استعداد للحصول على العدل لليهود عن طريق الظلم للعرب . ويقول البروفسور «بنيامين كوهين» الأستاذ بجامعة تل أبيب : لقد كان اليهود على الدوام ضحايا القسوة فكيف جاز لهم أن يكونوا على هذه القسوة . وهنالك الكثيرون منهم يرون هذا الرأي . وفى أمريكا حركتان يهوديتان كبيرتان اسمهما «السلام الآن» و«الأرض مقابل السلام» ، وينكرون الظلم الواقع على الفلسطينيين ويرون إعطاءهم وطنا والعيش معهم فى حسن جوار . ومثلهم عدد ضخم من اليهود داخل فلسطين .

٥- استعمار إرهابى :

وهو كذلك استعمار إرهابى ، فهذا أشد وضوحًا ، فالإرهاب لحمته وسداه ، الإرهاب هو الذى مهد لقيام الدولة منذ عهد العصابات المعروفة : الهاجاناة ، والأرجون ، والاسترن ، التى اقترفت الفظائع .

والإرهاب هو الذى أسس الدولة ، وأقامها بالحديد والنار ، فقتل النساء والأطفال والشيوخ بطرق وحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، حتى كانوا يراهنون على ما فى بطون الحوامل : أذكر هو أم أنثى؟ ثم يبقرون بطنها ـ وهم يتضاحكون ، ليروا من الفائز منهم؟ ثم يذبحون الأم والطفل معا! .

والإرهاب هو الذى وسع الدولة؟ بأكثر مما أعطاهم قرار التقسيم ، ثم ضم إليها ما ضم فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧م .

والإرهاب هو الذى يهدد الجيران من العرب ، أن يملكوا أى قوة نووية أو غير نووية ، يجب أن يملكوا هم القوة وحدهم ، ولهذا ضربوا من قديم المفاعل النووى العراقى ، بل هم يقتلون الشبان النوابغ من العرب فى المجال النووى ، كما دل على ذلك أكثر من حادثة . بل هو يهدد المسلمين جميعًا ، إذا حاولوا ذلك ، كما نرى فى الموقف من محاولة باكستان امتلاك قنبلة نووية ، كما فعلت جارتها وغريمتها الهند .

والإرهاب هو الذى يقتل ـ بيد الدولة وأجهزتها وبأمر رؤسائها وقادتها ـ أبطال المقاومة الذين يدافعون عن أرضهم ومقدساتهم وأهليهم ، كما رأينا فى اغتيال الشقاقى وعياش والشريف ، ومحاولة اغتيال مشعل .

الإرهاب الصهيونى هو الذى قتل ـ من قديم ـ المصلين فى مسجد يافا ، وهو الذى صنع مجزرة دير ياسين ، وهو الذى قتل أطفال مدرسة (بحر البقر) فى مصر ، وهو الذى قتل المصلين بعد ذلك فى مسجد الخليل فى فجر رمضان ، وهو الذى قتل من قتل فى النفق ، وقتل من قتل فى (قانا) بلبنان ، وقتل أخيرا العمال البرآء بالقرب من حاجز (ترقوميا) بمنطقة الخليل ، ولا زال يقتل ويقتل ولا تزال يده مغموسة بدماء الأبرار .

والعجب أن يفعل الإرهاب الصهيونى ذلك كله ، ويدعى أننا نحن الإرهابيون ، أما هو فبرىء من كل تهمة ، براءة أخوة يوسف من إلقائه فى الجب ! .

* * *